الخديوى توفيق

واحتلال مصر



د: أحمس حسن صبحي

دار الكتب العلمية
للنشر والتوزيع
القاهرة

إهـــــــداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
جمهورية مصر العربية

10

الخديوي توفيق

(واحتلال مصر)

....

د. أحمد حسن صبحي

صبحي، أحمد حسن
الخديوي توفيق واحتلال مصر / أحمد حسن صبحي. ط ١ - القاهرة
دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠
٥٦ ص، ١٤× ٢٠ سم
تدمك: ٧ ٩٧٢ ٢٨٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- مصر- تاريخ - العصر الحديث - الخديوي توفيق (١٨٧٩ -١٨٩٢م)
٢- الخديوي توفيق، محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، (١٨٥٢- ١٨٩٢)

أ. الخديوي توفيق واحتلال مصر

رقم الإيداع ١١٤٩٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي 6 - 972 - 287 - 977 - 978

دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريحان - عابدين - القاهرة
☎ ٢٧٩٤٨٦١٩ - ٢٧٩٥٤٢٢٩
فاكس: ٢٧٩٢٨٩٨٠

لمزيد من المعلومات يرجى زيارة موقعنا على الإنترنت

www.sbhegypt.org
info@sbhegypt.org
sbh@link.net

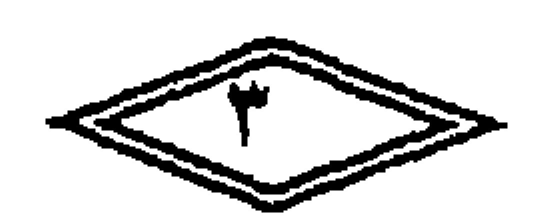
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تولى محمد باشا توفيق أريكة الخديوية بعدما خرج أبوه الخديوى إسماعيل منفيا من مصر. مات الخديوى توفيق بالالتهاب الرئوى فى قصره بحلوان يوم ٧ يناير ١٨٩٢، وخلفه ابنه عباس حلمى الثانى حتى عام ١٩١٤، ثم ابنه حسين كامل الذى منح نفسه لقب السلطان، حتى عام ١٩٢٢ فخلفه ابنه أحمد فؤاد الأول الذى منح نفسه لقب ملك مصر والسودان.

ضاعت مصر فى عهد الخديوى توفيق واحتلها الإنجليز، ثم زحفوا على السودان وأخلوه من المصريين، ووطدوا حكمهم هم فيه. كانت الثورة العرابية هى حجة الإنجليز فى التدخل، الذى حيكت خيوط مؤامرته بحنكة ودراية قادها جلادستون رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الوقت، وكيف لا وهو الذى يعمل بالتخطيط الصهيونى المدّمر، لاحتلال مصر، ذلك الحلم المرسوم على جدران قلب كل يهودى: من النيل إلى الفرات.

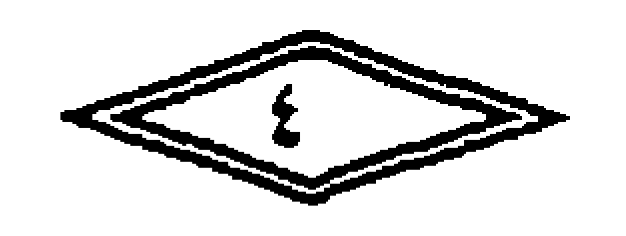
عندما ضرب الأسطول الإنجليزى الإسكندرية يوم ١١ يوليه ١٨٨٢، وأحال المدينة إلى كتلة مشتعلة من النيران، أصدر جلادستون أمره بعدم إنزال الجنود الإنجليز إلى



المدينة معللا أمره بأنه غير مقبول. وقد قال اللورد كرومر المعتمد الإنجليزى الأول فى مصر تعليقا على ذلك: " من الصعب أن نفهم عقلية إنسان لا يرى فى إطلاق الآف القنابل على حصون مصر عملا من أعمال التسلط، بينما يراه كذلك إذا أنزل عددا من الجنود إلى الساحل لإنقاذ مدينة آهلة بالسكان من أن تحترق عن آخرها ". فإذا لم يفهم كرومر مغزى ذلك، فكل مصرى يفهم الآن السبب. أراد جلادستون حرق الإسكندرية واحتلال مصر.

كانت فترة حكم الخديوى توفيق تنقسم إلى فترتين بارزتين. الأولى هى مقاومة أى بزوغ لمشاعر مصرية صميمة، عمل جدّه بطل مصر إبراهيم باشا على إعلائها ونفخ تأجج نارها. وكان القسم الثانى من فترة حكمه هو السير فى ركاب الإنجليز وتثبيت أركان احتلالهم لمصر المحروسة.

إقترنت الثورة المصرية على الحكم العثمانى ثم على التدخل الأجنبى فى مصر ثم الاحتلال الإنجليزى للمحروسة، بالسنوات الأولى لحكم توفيق. تلك الثورة التى قادها أحمد عرابى. وقد اختلف معظم كتاب التاريخ فى مصر والعالم - كل طبقا لتفكيره الخاص - فى وصف الخديوى توفيق وأحمد باشا عرابى. رُمى الإثنان بالخيانة، ووصف الإثنان أيضا بالوطنية. وهو تناقص بيّن يحار المرء فى تعليله.



لجأ الخديوى توفيق إلى الإنجليز لحمايته وحماية عرشه من أحمد عرابى وجيش وشعب مصر. وحارب أحمد عرابى بالجيش والشعب الإنجليز الغزاة، وهدفه التخلص من الخديوى توفيق المتعاون مع الإنجليز. أراد توفيق بممالأة الإنجليز التخلص من تبعية مصر للدولة العثمانية، وصمم أحمد باشا عرابى على تبعية مصر للدولة العثمانية وسلطانها خليفة المسلمين.

تناقض ظاهر فى أهداف الطرفين، ولكن الضحية الوحيدة كانت هى مصر الغالية، التى دنس ترابها الاحتلال الإنجليزى خلال تلك الفترة من تاريخها وظل الإنجليز جاثمون على أرضنا وحريتنا ومقدراتنا طوال أربعة وسبعين عاما.

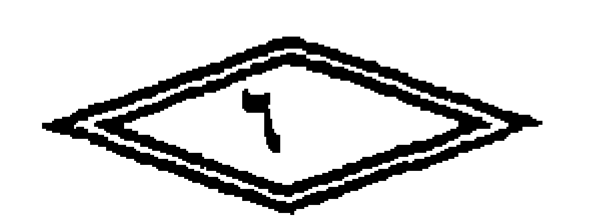
عاش الخديوى محمد توفيق فى ظل حماية الإنجليز منذ تولى الحكم، بل قبل ذلك عندما رأس الحكومة فى عهد أبيه وبها وزيران إنجليزى وفرنسى لا يستطيع أن يتخذ أمرا إلا بعد موافقة الإنجليزى عليه. وعندما ثار الجيش بقيادة احمد عرابى باشا، تفاوض معه الإنجليزى بإسم الخديوى.

وعاش أحمد عرابى باشا منذ أيام الخديوى إسماعيل مظلوما، مبعدا عن الجيش لفترات من حياته، وكان كذلك خلال حكم الخديوى توفيق، فهل كانت كراهيته الشخصية للحاكم هى المحرك لثورته التى ولدتها صدور المصريين المشحونة بالإحساس بالظلم والقهر والفقر الذى

عم كل أرجاء مصر؟ فالتفوا حول ضابط مصرى فلاح ينادى بالعدل وإنصاف المصريين؟

لاشك أن كل قارئ للتاريخ فى هذه الفترة، يعتمل صدره بمختلف المشاعر والأحاسيس تجاه الخديوى وأحمد عرابى باشا، ما بين تأييد فى بعض المواقف، وإحساس بالاعتراض فى أخرى، والاشمئزاز فى مرحلة ثالثة، وفى نهاية المشاعر، حزن عميق على ما يصيب مصر من جور وظلم. فلله الأمر.

* * *



١

وقف أستاذ التاريخ وحوله طلبته أمام قصر راس التين. أشار المدرس بيده إلى القصر وقال لهم:

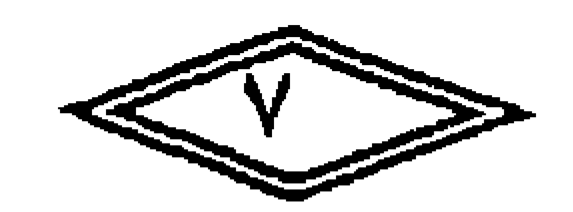
- شهد هذا القصر أحداثا هائلة يا أبنائى. عندما حرق الإنجليز عام ١٨٨٢ مدينتنا العظيمة، فأخلاها السكان والجيش المصرى، نزل العسكر الإنجليز وأقام قائدهم فى هذا القصر. وسارع خديوى مصر محمد توفيق، بعد سيطرة الإنجليز على مدينتنا إلى قصر رأس التين ليقيم فيه تحت حماية الإنجليز.

تساءل طالب يقول:

- كيف يقبل خديوى مصر أن يحتمى بالغزاة ويعادى الشعب؟

ابتسم المدرس يقول للطالب:

- لا يهم الحاكم سوى الحفاظ على كرسيّه. لقد بلغت العلاقة بين الخديوى، والجيش المصرى المستند إلى التأييد



الشعبى المصرى وراء أحـمد باشا عـرابى، حدّ العداء وإحساس الخديوى بأن الهدف من تحدى عرابى له هو خلعه من الحكم، أو هكذا صُوّر للخديوى. اعتبر الخديوى أحمد عرابى باشا متمردا وخارجا عن طاعة الحاكم، وزاد موقف عرابى سوء، ما قرره السلطان العثمانى من عصيان عرابى قال طالب من الواقفين:

- هل تلك الأسباب تدفع الخديوى إلى الوقوف مع الإنجليز ضد الشعب؟

رد المدرس قائلا:

- ومن يحمى عرشه يا بُنىّ إذا ما كان الشعب والجيش ضده؟ كانت القوة الوحيدة القادرة على ذلك هم الإنجليز. وقد صوّر الإنجليز للخديوى عند نزولهم إلى الإسكندرية أن بقاءهم فى مصر هو لمجرد حفظ النظام بها وإعادة هيبة الخديوى، ووعود بالرحيل عن أرض المحروسة فور استتباب النظام.

قال طالب آخر ساخرا:

- واستمروا فى مصر أربعة وسبعين عاما.

قال المدرس:

- نعم. ولكن المصريين لم يهدأوا على مدى تلك السنوات أبدا يا أبنائى. جيل بعد جيل، كل يؤدى دوره خرج الإنجليز من مصر عام ١٩٥٦.

قال تلميذ يسأل مدرسه:

- وماذا عن أحمد عرابى باشا ياأستاذ؟

قال المدرس:

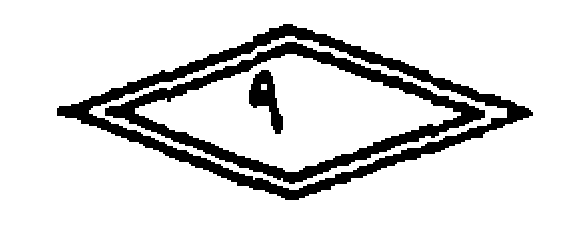
- ما لكم تستبقون الأحداث. إن السنوات التى تلت حكم الخديوى إسماعيل منذ نفيه عن مصر وحتى احتل الإنجليز مصر، فترة مليئة بالأحداث والتطورات. فيها ما يوجع القلب حسرة على ما يصيب مصر بيد أبنائها وبها ما يثلج صدورنا من بطولة بعض المصريين، وعلينا أن نترحم على شهداء مصر الذين بذلوا دماءهم فداء لترابها الغالى.

نظر المدرس إلى طلبته وقال لهم:

- اجلسوا هنا. أريد أن أحدثكم اليوم عن تلك الفترة التى حكم فيها الخديوى توفيق والتى تزامنت مع احتلال الإنجليز لمدينتنا الإسكندرية، ثم باقى مصر كلها فى حرب درامية شهدت بطولات وتخاذل وخيانة، مكنت الإنجليز فى نهاية الأمر من احتلال مصر كلها بعد تسليم الجيش المصرى للقاهرة، وإلقاء القبض على زعماء الجيش المصرى بأمر الخديوى ومحاكمتهم.

جلس الطلبة متحلقين حول مدرسهم، ينتظرون حديثه، فقال أحد الطلبة متساءلا:

- هل يعتبر الخديوى توفيق خائنا يا أستاذ؟



قال المدرس:

- إن اتهام مصرى بالخيانة لهو شئ صعب، يجب أن نكون حريصين عند تقدير موقف كل رجل فى ظل الظروف التى كان يعيش فيها، ووزن تصرفاته طبقا لتلك الظروف. كل إنسان يصور له تفكيره أن ما يفعله هو الصواب، خاصة إذا ما كان الأمر متعلقا بمركزه الذى يشغله. وجد أحمد عرابى باشا نفسه زعيما لجيش وشعب مصر، يتحدث بإسمهم. كان صدره مليئا بالكراهية للعناصر التركية والشركسية التى تسيطر على الجيش المصرى، وبالتالى كراهية الخديوى الذى يعينهم ويحميهم.

واستطرد المدرس يقول:

- وعلى الناحية الأخرى، نجد الخديوى توفيق، مغلول اليد فى مصر وهو يرى تنامى شعبية أحمد عرابى باشا، ووقوفه أمامه موقف الند وفرض طلباته بإسم الجيش المصرى عليه. من الواضح أن الخديوى لم يجد سوى الإنجليز الموجودين فى مصر بالفعل، ليتخذ منهم عضدا ضد الجيش، لمساندته فى الحفاظ على كرسيه، وهو الذى يعتمد عليهم فى تصريف شئون الحكومة المصرية وقيادة جيشه فى مصر.إننى أتحدث عن وجهة نظر الخديوى فى ذلك الوقت كيفما كانت. كان من الطبيعى ان يتهم الخديوى، زعيم الشعب أحمد عرابى باشا بخيانة الولاء للعرش. ومن الطبيعى أيضا أن يتهم عرابى، خديوى مصر

بالخيانة وهو يعمل على إجهاض الحركة الوطنية المصرية والالتجاء، إلى الإنجليز.

قال طالب يسأل أستاذه:

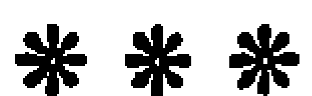
- لقد ازددنا حيرة يا أستاذ. كيف نحكم على الإثنين؟

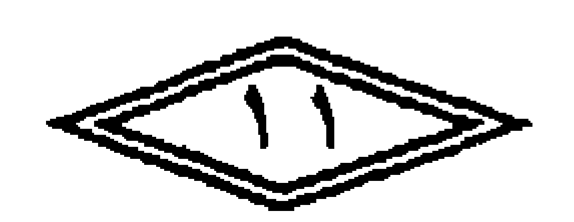
قال المدرس:

- لا داعى لإصدار أحكام. إنه تأريخ فترة هامة من تاريخ بلدنا. كانت إنجلترا تخطط على مدى سنوات طويلة لالتهام مصر، مستعينة بكل الظروف والعوامل التى وجدت، لتنفيذ خطتها بإحكام. نجحت فيما خططت له، وفشلنا نحن كمصريين فى ذلك الوقت من مجابهة تلك الخطط. كانت بلادنا مرتعا خصبا للأوروبيين واليهود، يديرون أعمال مصر الاقتصادية والمالية ويسيطرون تماما على مقدراتها. تلك هى الأرضية المثلى لفقدان أى بلد لحريتها يا أبنائى.

نظر الأستاذ إلى طلبته وقال:

- دعونى أحدثكم عن تلك الفترة.

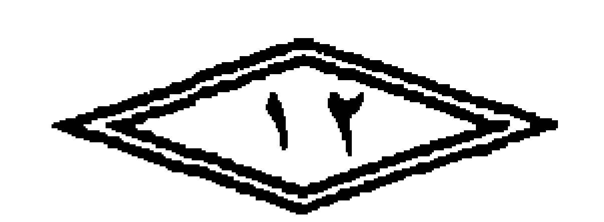




2

أسند الخديوى توفيق بعد توليه الحكم، إلى شريف باشا تشكيل الوزارة الجديدة وتقدم محمد شريف باشا بطلب تشكيل مجلس النواب فرفض الخديوى، فتقدم شريف باشا باستقالته فى أغسطس ١٨٧٩، فعاشت مصر بحكومة يرأسها الخديوى حتى استدعى رياض باشا من أوروبا، لتشكيل الحكومة فى سبتمبر ١٨٧٩، وهو الذى أبقى مصر بدون مجلس شورى للنواب على مدى سنتين، وأنهى خدمة عشرة آلاف جندى من الجيش وقصر عدده على عشرة آلاف فقط.

كان السلطان العثمانى، قد أصدر مع فرمان عزل الخديوى إسماعيل، أمرا سلطانيا بإلغاء امتيازات فرمان ١٨٧٣ الصادر لإسماعيل باشا بحق وراثة أبنائه للعرش، وحق إبرام المعاهدات التجارية، وحق الإقتراض، وحق زيادة الجيش. سارعت إنجلترا وفرنسا بالتدخل لدى السلطان. صممت إنجلترا على إبقاء حق وراثة العرش لأبناء توفيق، وصممت فرنسا على ضرورة منح الخديوى



حق عقد المعاهدات التجارية، وعدم عقد قرض إلا بالاتفاق مع الدائنين. ووافقت إنجلترا على تحديد عدد جيش مصر بثمانى عشر ألف جندى. فأصدر السلطان العثمانى فرمانا بذلك. صار الإنجليز بما حققوه لتوفيق، أصحاب أيادى بيضاء عليه بعد إبقاء وراثة العرش فى ذرّيته وحده.

وترتب على ذلك الفرمان الجديد، تجديد المراقبة الثنائية الإنجليزية والفرنسية على أن تقتصر أعمالها على الفحص والتحقيق وعدم التدخل فى شئون الإدارة، وعدم جواز عزلهما إلا بعد موافقة دولتيهما. وتبع ذلك إنشاء لجنة التصفية لإيجاد حل نهائى بين الحكومة المصرية والدائنين.

إتبع الخديوى خلال تلك الفترة، سياسة إبعاد المصريين عن قيادات الجيش، فعين عثمان رفقى باشا وزيرا للحربية، وهو ضابط شركسى يكن الكراهية للمصريين الفلاحين. وقد أصدر عثمان رفقى قانون القرعة الجديد الذى يمنع ترقية الضباط من تحت السلاح، أو تعيينهم فى المراكز القيادية بالجيش، وقصر الترقى على الضباط الأتراك والشراكسة فقط.

كان المتبع فى ذلك العصر أن يلتحق المجندون المتعلمون بالجيش فى رتبة جاويش ثم تتم ترقيتهم إلى رتبة الملازم، ثم يتدرجون فى الترقى إلى أعلى الرتب. ويطلق على تلك الفئة من الضباط لفظ، من تحت السلاح.

تذمّر الضباط المصريون من القانون، وتقدم القائمقام أحمد عرابى وعلى فهمى باحتجاج، بعثا به إلى رئيس الوزراء رياض باشا. غضب الخديوى توفيق من هذا الاحتجاج، وأمر بتأديب العصاة فعقد مجلس النظار برئاسته وقرر إلقاء القبض على الضابطين ومحاكمتهما.

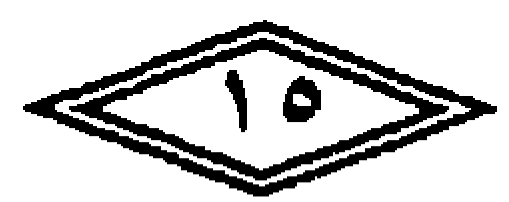
وضع عثمان رفقى باشا وزير الحربية الشركسى خطة إلقاء القبض على عرابى وفهمى، فبعث لهما باستدعاء للتشاور معهما فى تنظيم حفل زفاف الأميرة. وعرف الضابطان بالمؤامرة فاتفقا مع جنودهما على التحرك إلى قيادة الجيش إذا تأخر حضورهما عن الساعتين.

بمجرد دخول أحمد عرابى وعلى فهمى إلى ثكنات قصر النيل، تم إلقاء القبض عليهما وأودعا السجن. تحرك ضباط وجنود عرابى وفهمى وحاصروا ثكنات قصر النيل وأفرجوا عن الزعيمين، وسار الجميع إلى قصر عابدين طالبين من الخديوى عزل عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية.

كان محمود سامى البارودى باشا من الضباط المصريين الذين ارتضى قرناؤه توليه وزارة الحربية، فهدأت نفوس الضباط الثائرة. بدأ أحمد عرابى باشا بماله من مقدرة على الخطابة، وهو الذى درس بالأزهر الشريف قبل التحاقه بالجيش فى الحديث عن جيش مصر وضرورة تخليصه من السيطرة الشركسية والتركية وإقامة حكم وطنى فى البلاد.

ظل الخديوى يراقب عرابى وعلى فهمى ومعهما عبد العال حلمى، الضباط المصريون الثلاثة ذوى التأثير على الجيش. وكان التذمر من التسلط الشركسي على قيادة الجيش ومؤامرات القادة الشراكسة ضد الثلاثة قد ازدادت، فأصدر الخديوى قرارا بعزل البارودى من وزارة الحربية، وتعيين صهره داود باشا يكن مكانه. بدأ يكن باشا عمله بإصدار عدة قرارات بحظر اجتماع الضباط، وعدم خروجهم من الثكنات استعد الخديوى للبطش بالضباط الثلاثة، فأصدر يوم ٨ سبتمبر ١٨٨١ أمرا بمساواة الضباط المصريين بالعثمانيين والشراكسة فى الترقى،فشعر الضباط الثلاثة بأن هناك مؤامرة مدبّرة لاغتيالهم، فاجتمعوا سرا بعد هروبهم من المراقبة التى فرضت عليهم مع بعض الضباط، وقرروا التحرك ضد الخديوى المحرّض على اغتيالهم، بعد اختيار عرابى قائدا لهم للتحدث بإسمهم وإسم الجيش المصرى.

خرج عرابى على رأس لواء المشاة الذى يقوده، والتقى فى ساحة قصر عابدين بباقى ألوية الجيش بأسلحته ومدافعه، وحاصروا القصر يوم ٩ سبتمبر ١٩٨١، فخرج إليهم الخديوى ومعه المراقب الإنجليزى " كلفن " وكان عرابى ممتطيا جواده وسيفه مشهرا فى يده، فأمره الخديوى أن يترجّل، فنزل عرابى من فوق حصانه وأغمد سيفه، وتـقدم بمطالب الجيش من عزل رياض باشا ووزرائه وتشكيل وزارة جديدة برئاسة شريف باشا،



وتشكيل المجلس النيابى وزيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندى.

نصح الإنجليزى الخديوى توفيق بالعودة إلى القصر، على أن يتولى هو التفاوض مع عرابى، ففعل الخديوى ما طلبه "كلفن" منه. وافق الخديوى على إقالة وزارة رياض باشا، وأرجأ الطلبين الآخرين إلى حين استشارة السلطان. كلف الخديوى شريف باشا بتشكيل الوزارة الجديدة، فتردد إلى أن قابله ضباط الجيش مؤكدين تأييدهم للحكومة إذا ما تشكلت برئاسته وطاعتهم لها. قال لهم شريف باشا:

- فى علمكم ما قاله الأقدمون: آفة الرئاسة ضعف السياسة. لا حكومة إلا بقوة ولا قوة إلا بانقياد الجنود إنقيادا تاما وامتثالهم إمتثالا مطلقا.

ثم أعلن قبوله لتشكيل الحكومة، وخاطب الضباط قائلا:

- كل حكومة عليها فرائض وواجبات من أهمها صيانة الوطن وحفظ الأمن فيه وهو أمر لا يأتى إلا بإطاعة رجالها العسكريين. ولا أريد أن أكون عرضة للوم إخوانى فى الوطن وبين الأجانب. أوصيكم بملاحظة الدقة فى الضبط والربط لأنهما من أخص شئون العسكرية وأسس قواها فقوموا بأداء واجباتها الشريفة، وعلى القيام بأداء كل ما يزيدكم فخرا وسؤددا. وفقنا الله وإياكم.

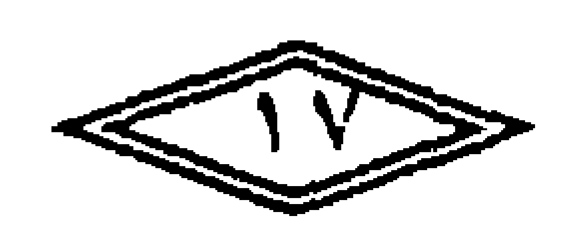


عاهد قادة الجيش محمد شريف باشا على عدم التدخل في شئون الحكومة، فألف الوزارة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨١ وعين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية. كان أول قرارات شريف باشا، إبعاد أحمد عرابى وجنوده إلى رأس الوادى بمحافظة الشرقية، ونقل عبد العال حلمى وجنوده إلى دمياط.

حضر إلى مصر وفد عثمانى أوفده السلطان لمعرفة حقيقة ما يجرى على أرضها، وقد قابل الوفد عرابى، الذى دعا للسلطان وأعلن خضوعه التام له، فأنعم عليه بأعلى نيشان عثمانى "المجيدى"، نظير إخلاصه للسلطان العثمانى. وقد انتهزت انجلترا وفرنسا ذلك الأمر، فأرسلت بعض سفنها الحربية إلى الإسكندرية بعد إخطار السلطان العثمانى بأنها لن تغادر الأراضى المصرية، ألا بعد عودة الوفد العثمانى إلى الأستانة، وأنهما لا توافقان على أى تدخل فى شئون مصر الداخلية. ولم يرحل الأسطولان، إلا بعد سفر الوفد العثمانى فى أكتوبر ١٨٨١.

ذاع صيت أحمد عرابى فى مصر بعد حادثة قصر عابدين، فخرج الناس يودعونه عند سفره إلى "رأس الوادى"، واستقبله الناس فى البلدان التى مرّ بها القطار إستقبالا حارا يهتفون بإسمه.

بدأ شريف باشا عمله بالدعوة إلى انتخاب المجلس النيابى الجديد، برئاسة سلطان باشا، وافتتحه الخديوى فى



٢٦ ديسمبر ١٨٨١، وقام رئيس الوزراء بعرض مشروع القانون الأساسى للمجلس وفيه مسئولية الحكومة أمامه،وحق المجلس فى إقرار الميزانية والرقابة على أعمال الحكومة وفرض الضرائب.

اشتد صيت أحمد عرابى فى مصر، الذى راح يخطب فى جماهير محافظة الشرقية مسقط رأسه، وأصبحت شعبيته تتخطى حدود الشرقية، فتم تعيينه وكيلا لوزارة الحربية، بهدف إبعاده عن الاتصال بالجماهير. وكان لعودته إلى القاهرة أثرها البالغ فى اتصاله برجال مجلس النواب ومختلف طوائف الشعب.

مع إصرار النواب على ضرورة إشراف المجلس على ميزانية الدولة، وجد شريف باشا، مع استمرار معارضة الإنجليز لهذا الأمر، أنه من الحكمة إرجاء بحث هذه النقطة، ليقطع الطريق على الإنجليز والفرنسيين ويمنع تدخلهم فى مصر إذا ما تفاقم الخلاف بين الطرفين، لكن المجلس صمم على حقه وأعد مشروع القانون الذى يتضمن حقه فى فحص وإقرار ميزانية مصر.

تقدم القنصلان الإنجليزى والفرنسى يوم ٨ يناير ١٨٨٢، بمذكرة إلى الخديوى بالاتفاق على تأييد سلطة الخديوى عند أى صعوبات من شانها عرقلة مجرى الأعمال العامة فى مصر، ثم طلبا بعد ذلك عدم تخويل مجلس النواب حق تقرير لميزانية. وقد قابل الخديوى ذلك التأييد الأنجلو فرنسى بالتقدير والشكر.



تطورت الأحداث سريعا في مصر بعد تقديم تلك المذكرة، التي عارضها المصريون على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، باعتبارها تدخلا سافرا في شئون مصر، وارتابوا في نيات الدولتين تجاه بلدهم باعتبارها اعتداء على استقلال مصر، وتحريضا للخديوى على مقاومة الأمة. ونتج عن تلك المذكرة وما تبعها من رأى عام معارض لها، تقارب النواب مع رجال الجيش وعلى رأسهم أحمد عرابى باشا.

طلب شريف باشا من إنجلترا وفرنسا، تقديمهما لمذكرة إيضاحية تفسر فحوى مذكرتهما التى بعثتا بها للخديوى، فرفضت الدولتان تقديم تلك الإيضاحات. ولم يستمع النواب إلى رأى شريف باشا فى إرجاء بحث مسألة الميزانية، فتقدم الرجل باستقالته إلى الخديوى بعد إصرار أعضاء المجلس على رأيهم فى اعتماد الميزانية.

شكل محمود سامى البارودى الوزارة الجديدة، وعين أحمد عرابى باشا وزيرا للحربية فى ١٥ فبراير ١٨٨٢، فكانت أولى قراراته هى زيادة عدد أفراد الجيش ورفع رواتب رجاله.

* * *

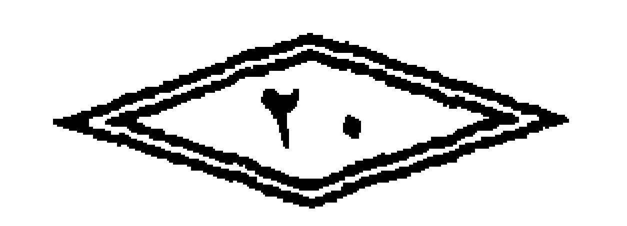


3

تطورت الأحداث في مصر بسرعة عجيبة بعد تشكيل وزارة البارودى. فقد تقدم عرابى وزير الحربية بطلب إلى الخديوى لنفى أربعين ضابطا شركسيا عن مصر بعد محاكمتهم، فأمتنع الخديوى عن إصدار أمره حتى ٩ مايو ١٨٨٢، عندما أصدر أمرا بتعديل حكم النفى إلى الترخيص لمن يشاء منهم بالخروج من مصر وعدم حرمانه من راتبه أو الرتب العسكرية الحاصل عليها.

وأتبع الخديوى ذلك بإنهاء اجتماعات مجلس النواب، فعقد النواب إجتماعا فى بيت رئيس المجلس محمد سلطان باشا، وقررت الأغلبية أن استمرار الخديوى فى دسائسه مع القنصلين الإنجليزى والفرنسى فى مصر تشكل خيانة الأمة، فلابد من محاكمته وخلعه.

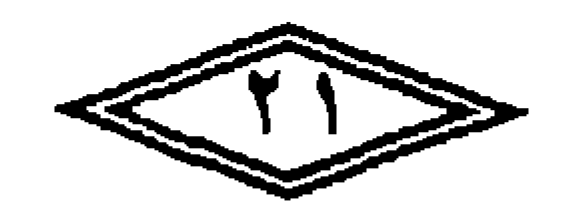
أحس الإنجليز، بأن تأزم الموقف بين الخديوى والشعب المصرى ممثلا فى الجيش وفى نواب الأمة تحت قيادة أحمد عرابى باشا، قد وصل إلى نقطة اللاعودة، التى تتيح لهم تنفيذ مخططهم تماما. وصلت يوم ١٥ مايو ١٨٨٢ عدة بوارج حربية إنجليزية إلى ميناء الإسكندرية.



خططت إنجلترا جيدا لذلك التحرك الجديد. فقد ثار السلطان العثمانى عند علمه بتقديم المذكرة الإنجليزية الفرنسية إلى الخديوى توفيق تقرر فيها حمايته، فقامت الدولتان بعرض المسألة المصرية على باقى الدول الأوروبية وإرسال أسطول إلى الإسكندرية، وإجبار الوزارة على الاستقالة. طلبت إنجلترا من السلطان إصدار أمره لمساندة الخديوى واستدعاء زعماء الثورة إلى الأستانة للإجابة على أعمالهم المناوئة للخديوى.

وبعثت الدولتان بمذكرة إلى البارودى تطالبه بالاستقالة وإبعاد أحمد عرابى باشا عن مصر مؤقتا مع حفظ راتبه وألقابه، وإبعاد عبد العال حلمى وعلى فهمى إلى الأرياف مع رواتبهم. إستقال البارودى، لكن أحمد عرابى رفض الإمتثال للمذكرة وأبى أن يترك منصبه فى ٢٨ مايو، وأصبح الوزير الوحيد فى وزارة مصر منذ ذلك الحين، غير معترف باستقالة الوزارة.

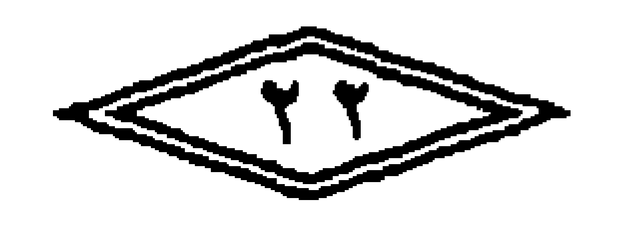
استطاعت انجلترا إقناع السلطان العثمانى بأن هناك إشاعات قوية فى مصر عن قرب قيام حركة سرية ترمى إلى إنشاء دولة عربية تجمع مصر وسوريا تهدد عرش آل عثمان، وأنها تعمل هى وفرنسا على منع ذلك بكل الوسـائل حفاظا على أملاك الدولة العثمانية وهيبة السلطان. كان هدف الإنجليزى جلاد ستون رئيس وزراء إنجلترا هو إبعاد العثمانيين عن مصر لكى يلتهمونها هم.



وكانت فرنسا تعارض أى تدخل عثمانى فى مصر لخوفها من تأثير السلطان إذا ما تدخل فى مصر بسلطته الإسلامية، على تونس التى ابتلعتها فرنسا من أملاك العثمانيين. وقد تمخضت تلك الأحداث عن زيادة إقصاء سلطان الدولة العثمانية عن مصر، وأن الخديوى توفيق أصبح ألعوبة الدولتين المفضلة، وأن مصر ستقاسم تونس مصيرها المهلك عاجلا أم أجلا، إلى جانب إنقطاع الصلة تماما بين الخديوى والشعب.

عيّن الخديوى توفيق وزارة جديدة ممن يعارضون عرابى، فعقد احمد عرابى مؤتمرا حضره ٤٠٠ عضو من الطوائف المختلفة من النواب وبعض أعضاء العائلة الخديوية المعادين لتوفيق، وشيخ الإسلام والقاضى والمفتى والبطريرك وأعيان التجار والضباط، وقرروا عدم عزل عرابى، مستندين إلى أن وجود الأسطول والجنود الإنجليز بالإسكندرية يمنع تنفيذ أوامر الخديوى.

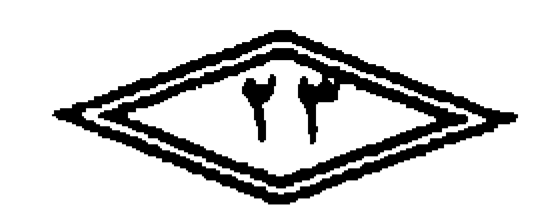
اكتشف أحمد عرابى باشا، أن موظفى وزارة المالية من الإنجليز، أخذوا كل أموال الحكومة المصرية وسافروا بها إلى الإسكندرية وأودعوها لدى قائد الأسطول الإنجليزى. طالب عرابى الشعب بالتبرع للاستعداد لحرب الإنجليز، فوقفت الأمة المصرية كلها خلفه لجمع الأموال اللازمة لإصلاح القلاع فى الإسكندرية وإعدادها للقتال.



أصبح الحزب العسكرى برئاسة أحمد عرابى باشا، هو الحاكم فى عاصمة مصر، وبدأ الأجانب المقيمين بالقاهرة والأقاليم فى النزوح إلى الإسكندرية. وسرت حركة بينهم لاقتناء السلاح استعدادا للدفاع عن أنفسهم ضد الفلاحين المصريين.

جاء يوم الأحد ١١ يونية ١٨٨٢ على الإسكندرية، عندما استأجر أحد المالطيين حمارا من صاحبه المصرى ورفض دفع أجر استئجار الحمار. طالبه المصرى بالأجر فصفعه المالطى ثم أخرج خنجرا طعن به المصرى فقتله. هرب المالطى، فتجمهر المصريون فى شوارع الإسكندرية، فبدأ الأجانب ضرب النار من بيوتهم على المصريين، فهجم المصريون على كل ما هو أجنبى فى الإسكندرية، وكسروا أبواب المحال المملوكة للأجانب وحطموها ونهبوها. استمر الشغب وأعمال الانتقام من الجانبين حتى الغروب. أصدر عرابى أمره إلى قائد الجيش بالإسكندرية للحفاظ على الأمن بالمدينة بعد الغروب. كانت نتيجة أحداث الشغب فى ذلك اليوم هو سقوط ٣٨ أجنبى قتيلا فى مقابل ١١ قتيل مصرى، إلى جانب الجرحى العديدين من الجانبين.

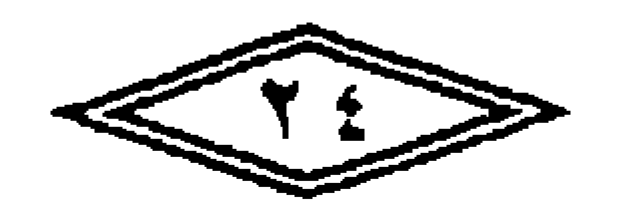
هُرع القناصل الأوروبيين إلى الخديوى بعد حادثة يوم الأحد، يحتجون على انعدام الأمن فى البلاد، فتعهد أحمد عرابى باشا للخديوى بأنه سوف يعمل بكل وسعه على



حماية أرواح الأجانب المقيمين فى البلاد، وانه يمتثل لأوامر الخديوى دائما. أراد عرابى أن يهدئ من التوتر الذى خلقه ذلك الحادث المدبّر بواسطة الإنجليز. فقد رحل ٣٢ ألف أجنبى عن القاهرة والأقاليم خلال أسبوع، وبلغ عددهم حتى العاشر من يولية ١٨٨٢ نحو ستين ألف أجنبى نزحوا إلى الإسكندرية فى حماية الإنجليز.

سافر الخديوى توفيق وأسرته وحاشيته إلى الإسكندرية، ونزل فى قصر رأس التين. عرض قائد الأسطول الإنجليزى استضافة الخديوى وأسرته على ظهر باخرته، لكن الخديوى فضل الانتقال إلى قصره فى مصطفى باشا لمراقبة الحالة من البرّ.

سارعت إنجلترا وفرنسا بالدعوة إلى عقد مؤتمر دولى فى الأستانة لبحث المسألة المصرية، يصورون الحادث الذى وقع بالإسكندرية على أنه تعصب مصرى ضد الأجانب، وأن الحالة أصبحت تدعو إلى ضرورة التدخل بالقوة لحماية أرواح المقيمين بالإسكندرية. بدأ المؤتمر أعماله يوم ٢٣ يونية ١٨٨٢ بحضور مندوبى أوروبا، لكن السلطان العثمانى رفض حضور بلاده للمؤتمر المنعقد فى بلاده لبحث شئون مصر، إحدى الولايات العثمانية. عرض المؤتمر يوم ٦ يولية على السلطان إرسال قوة عسكرية عثمانية لحماية الخديوى وتثبيت عرشه، والحفاظ على الأمن فى مصر. وكعادة العثمانيين، أخبر السلطان المؤتمر، بأنه سوف يرسل مندوبا لحضور المؤتمر يوم ١٠ يولية.



جاء يوم ١٠ يولية ١٨٨٢، فأعلن قائد الأسطول الإنجليزى أنه سوف يضرب الإسكندرية إذا لم تستسلم المدينة فى خلال ٢٤ ساعة. سبق للإنجليزى أن طلب من الخديوى بأن يأمر أحمد عرابى بوقف أعمال ترميم وتدعيم وتحصين قلاع الإسكندرية، فأمره الخديوى، واستجاب عرابى لطلب الخديوى. لم يكن فى الطابيات والقلاع سوى المدافع القديمة التى وضعت فيها أيام محمد على باشا.

جاء صباح ١١ يولية ١٨٨٢، فأطلقت ١٤ سفينة وبارجة حربية إنجليزية، مدافعها على قلاع الإسكندرية، بلا رحمة ولا توقف، فنسفتها عن آخرها واستشهد كل من بها من ضباط وجنود مصريين، حاربوا بضراوة ، وكانت كل قنابل مدافعهم لا تصل إلى هدفها نظرا للتسليح الهزيل الذى كانت عليه القلاع. أصابت القنابل الإنجليزية مدينة الإسكندرية فأشعلت بها الحرائق، وزهقت أرواح المصريين بالمئات تحت وابل القنابل وتهدّم البيوت.

سكتت مدافع البوارج الإنجليزية بعد عشر ساعات من الضرب المستمر، وتصاعدت السنة اللهب من المدينة، وكانت طوابير أهلها المهاجرين الهاربين منها تصل من الإسكندرية إلى المحمودية، فرارا من الجحيم الذى أشعله الإنجليز، والذى ألصقت تهمة حريق الإسكندرية إلى أحد ضباط الجيش المصرى، سليمان داود، بدعوى أنه أمر بحرق المدينة قبل إخلائها.



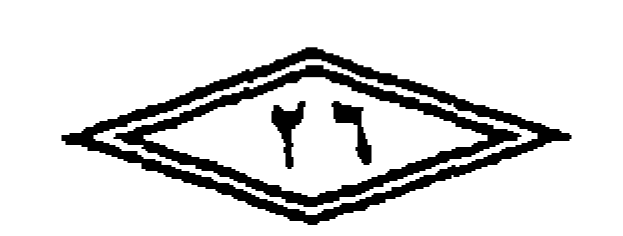
تراجعت الحامية العسكرية من الإسكندرية، وأصدر عرابى أمره إلى الجنود بالتراجع والتجمع فى كفر الدوار، التى سار إليها مع الجيش المصرى، يتخذ من تلك المدينة قاعدة للحرب مع الإنجليز الذين نزلوا إلى مدينة الإسكندرية فى اليوم التالى لحرقها.

انتقل الخديوى توفيق إلى قصر رأس التين بعد الاحتلال الإنجليزى للمدينة. وأصدر منشورا بعث به إلى عرابى، يأمره بوقف الاستعدادات الحربية، وإلغاء الأحكام العرفية. رفض عرابى أمر الخديوى، ومضى فى بناء الاستحكامات فى كفر الدوار والاستعداد لمحاربة الإنجليز.

بعث الخديوى إلى عرابى يطلب منه الحضور إلى الإسكندرية، فكتب له عرابى يقول:

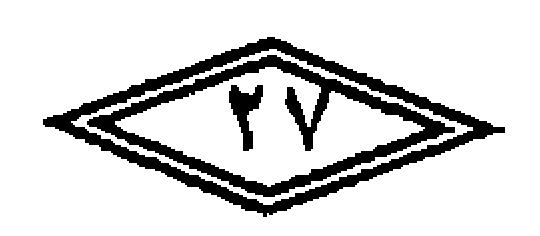
- إن كنت يا مولاى حرّا فيجب حضوركم إلى عاصمة البلاد. وإن كنت أسيرا لدى الإنجليز، أو متحيزا لهم فلا يمكن التسليم بقبول ما يكتبه العدو عن سموكم أو على لسان رئيس الوزراء وزملائه. والأمر لمن له الأمر.

قرر أحمد عرابى باشا، تشكيل مجلس عرفى يستمد منه الجيش سلطاته الشرعية فى حكم البلاد ومحاربة الإنجليز بما يستدعيه ذلك من تجنيد الأهالى أو جمع المال والعتاد، وإن كان المصريون لم يبخلوا على جيشهم قبل ذلك النداء، بكل ما لديهم من أنعام ومحاصيل ومال.



أصدر الخديوى توفيق أمرا خديويا بعزل أحمد عرابى باشا من الجيش واعتباره متمردا. كان رد أحمد عرابى على الخديوى مباشرا بإعلان أن الخديوى محمد توفيق يعتبر خائنا لمصر بعد انحيازه إلى الإنجليز أعداء الأمة.

* * *

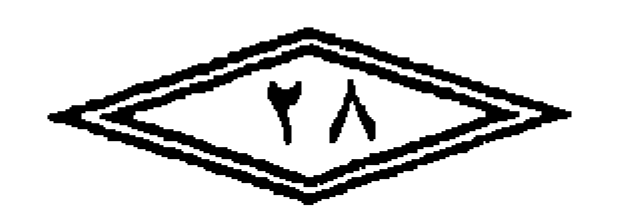


4

عقد عرابى مجلس الحرب للتشاور فى كيفية الإعداد للدفاع عن مصر. اتخذ من كفر الدوار قاعدة أولى لصد زحف الإنجليز على القاهرة. قام الجيش ببناء الاستحكامات حول المدينة. وتحركت قوات من الجيش لتدعيم الحاميات العسكرية فى مريوط ورشيد وأبى قير. كما تحركت قوة أخرى إلى دمياط استعدادا للقاء الإنجليز إذا ما نزلوا بها.

أثير فى الاجتماع احتمالات دخول الإنجليز إلى قناة السويس وإنزال قواتهم فى مدن القناة والزحف من الشرق على القاهرة. أصدر عرابى قراره بردم قناة السويس لمنع الإنجليز من استخدامها. فسارع فردينان دى ليسبس بلقاء أحمد عرابى باشا وأكد له أن قناة السويس هى أرض محايدة لا يسمح بالحرب فيها، ووعد بعدم تمكين السفن الإنجليزية من دخولها. فقرر أحمد عرابى عدم ردم القناة إعتمادا على الوعد الذى قطعه دى ليسبس على نفسه.

كما أثار البعض حاجة الجيش المصرى إلى الجنود، فتم الإتفاق على تكليف الخفراء بالإنضمام إلى الجيش على



أساس أن لديهم خبرة فى إطلاق النار، وأنه لا يوجد الوقت الكافى لتدريب متطوعين جدد وضمهم إلى الجيش.

وأصدر عرابى أمره بتحرك لواء مشاة إلى التل الكبير، وضم آلاف الخفراء المجندين إلى هذا الجيش لحماية الجبهة الشرقية، وتوزيع القوات على مدن مديرية الشرقية، ومعهم أيضا العرب الهنادى المتطوعين مع الجيش المصرى.

استكمل الجيش المصرى بناء استحكاماته فى كفر الدوار، إنتظار للهجوم الإنجليزى المنتظر. بدأ الهجوم يوم ٢١ يولية ١٨٨٢، بعدما تم إنزال الجنود الإنجليز من السفن الحربية والسيطرة على مدينة الإسكندرية تماما، ووصول المدد العسكرى الإنجليزى إلى الميناء.

قابل جيش مصر الهجوم الإنجليزى بشجاعة واستبسال، فسارع الإنجليز بالإنسحاب يسحبون قتلاهم وجرحاهم. عاود الإنجليز الهجوم على كفر الدوار يوم ٢ أغسطس فلقوا مثل ما جنوه فى الهجوم الأول، وسارعوا بالإنسحاب.

غيّرت إنجلترا من خطتها فى احتلال مصر، أو أن الخطة الأصلية كانت قد رُسمت بدقة على أساس تأكيد دى ليسبس بالحفاظ على حياد قناة السويس لمنع ردمها. فقد وصلت إلى ميناء السويس يوم ٢ أغسطس سفينة إنجليزية من عدن تحمل ١٦ مدفعا كبيرا وقوة من ٤٥٠ جندى،



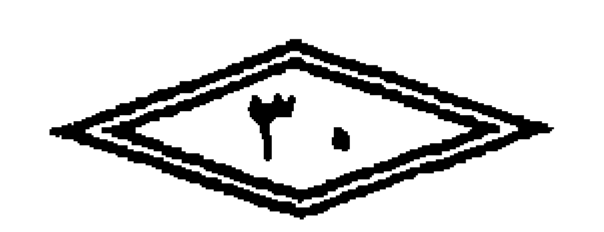
واستطاعت تلك القوة الإستيلاء على المدنية بدون مقاومة بعد فرار رجال الشرطة منها.

وكانت بعض السفن الحربية الإنجليزية قد تسللت خلال نشوب المعارك فى كفر الدوار خلال شهر يولية، إلى بورسعيد واستطاع الإنجليز السيطرة على المدينة الخالية من الجيش،، وأبحرت السفن منها فى القناة إلى بحيرة التمساح واحتلوا الإسماعلية.

لم يأت يوم ٢١ أغسطس إلا وقد أصبحت مدن القناة الثلاث: بورسعيد والإسماعيلية والسويس، تحت الإحتلال الإنجليزى الكامل. كان الخديوى محمد توفيق قد أصدر أمرا بالترخيص للإنجليز باحتلال مدن قناة السويس الثلاث.

عندما تلقى أحمد عرابى باشا خبر استيلاء الإنجليز على القناة ومدنها، وبدأ فى دراسة كيفية مواجهة الموقف الذى سبق وأن توقعه بالهجوم من الجبهة الشرقية ، قام الإنجليز يوم ١٩ أغسطس بالهجوم بكثافة شديدة على كفر الدوار، وعاودوا الهجوم يومى ٢٠ و٢١ أغسطس، لكنهم فشلوا فى تحطيم خطوط الدفاع المصرية وانسحبوا وقد خسروا عددا كبيرا من القتلى والجرحى، خاصة فى اليوم الأول لهجومهم.

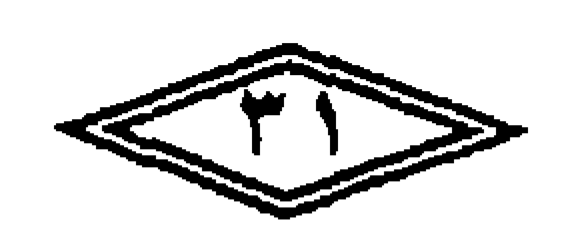
ولم يحدث أى قتال بين المصريين والإنجليز فى مريوط



ورشيد أو أبى قير، بل مناوشات متفرقة لا ترقى إلى المعارك الحقيقية، فيظهر بعض الجنود الإنجليز، يطاردهم المصريون فيّفر الإنجليز. وظل الإنجليز يحـاولون الهجـوم على كفر الدوار دون فائدة، فى محاولة لشغل الجيش المصرى عن التحرك إلى الجبهة الشرقية.

فى الوقت الذى كان الجيش المصرى فى كفر الدوار، يصد الهجمات الإنجليزية المتلاحقة ببسالة وشجاعة أوقفت الإنجليز عن تحقيق أى نصر، وفى الوقت الذى بات فيه عرابى وقادة جيشه يفكرون فى كيفية الانتقال إلى الجبهة الشرقية لمصر، كان الخديوى توفيق يحاول فرض سيطرته على البلاد يساعده الإنجليز فى مهمته بإرسال المنشورات التى تضمنت إعلان الخديوى بعصيان عرابى، ومطالبة المصريين بعدم مساعدته، وتأكيد الخديوى أن الإنجليز ما جاءوا إلى مصر إلا لتخليصها من الفوضى التى أوجدها عصيان عرابى وإعادة الشرعية فى البلاد، وأن بقاءهم فى مصر رهين باستعادة الخديوى لسيطرته على عاصمة المحروسة وتخليصها من أيدى العصاة.

وعلى الناحية الأخرى، كان عبد الله النديم، الخطيب المفوّه، يتجول فى بلاد مصر المختلفة يخطـب فى الناس، يثير حميتهم لمواجهة الإنجليز والخديوى الخائن، والعمل على مساعدة عرابى وجيش مصر.



وقد أتت منشورات الخديوى ثمارها بين عدد من أعيان مصر، وعلى رأسهم محمد سلطان باشا، رئيس مجلس النواب، وبعض ضباط الجيش أيضا، فسافروا إلى الإسكندرية، وقدموا فروض الولاء إلى الخديوى توفيق وأعلنوا تبرأهم من أحمد عرابى. وقد أمر الخديوى الضباط المصريين الذين فروا من جيش عرابى، بالانضمام إلى الجيش الإنجليزى فى القناة، وقد اصبح الزحف الاستعمارى من شرق مصر وشيكا.

وزاد موقف عرابى سوء فى مصر، إصدار السلطان العثمانى فى ٦ سبتمبر ١٨٨٢ إعلانا بعصيان عرابى وخروجه على طاعة السلطان ووجوب مقاومته. كان ذلك الإعلان ضربة قاصمة لعرابى أثرت فى شعبيته بين المصريين المسلمين الذين كانوا يعتقدون أن أوامر السلطان العثمانى – خليفة المسلمين –واجبة النفاذ، فكف المصريون عن المساعدة.

لم تخر عزيمة عرابى وجيشه، بل تحركت القوات المصرية من دمياط ورشيد وكفر الدوار، حيث تجمعت فى القصاصين " استعدادا للقاء الإنجليز الذين احتلوا مدن القناة ومديرية الشرقية وزحفوا إلى " القصاصين ".

هجم الجيش المصرى على الإنجليز فى القصاصين، واستمرت المعركة ١٤ ساعة متواصلة، تكبد فيها الإنجليز خسائر هائلة وأبدى المصريون شجاعة فى القتال أنزلت



الرعب فى قلوب الإنجليز. قرر عرابى إعادة الهجوم يوم ٩ سبتمبر على الإنجليز، وتم إعداد الخطة الحربية على شكل دائرة ذات جناحين وقلب للإطباق على العدو.

حدث ما لم يكن فى حسبان الجيش المصرى، إذا انسحبت قوات الميسرة التى يقودها البكباشى " على يوسف خنفس" من الميدان قبل المعركة، والتف الإنجليز من الميسرة وطوقوا جيش مصر قبل استعداده للهجوم، فاستشهد الآلاف من أبنائك يا مصر غدرا، وسارعت الفلول تعدو إلى التل الكبير حيث عرابى ورئاسة الجيش.

وبينما يعيد المصريون ترتيب تلك الفلول، ومواجهة الظروف المعاكسة من الخديوى والسلطان، هجم الإنجليز يوم ١٢ سبتمبر على الجيش المتمركز فى التل الكبير فى الفجر، وفى مقدمة جيش الإنجليز الضباط المصريين المنضمين إلى الخديوى ومعهم عرب الهنادى، يرشدونهم إلى الطرق الصحراوية غير المطروقة المحيطة بالتل الكبير.

حصدت مدافع الإنجليز المحيطة بالتل الكبير أرواح النائمين والمصلين لفريضة الفجر، وشاع الذعر بين عساكر الجيش وفرّ من استطاع النجاة منهم، عائدين إلى القاهرة.

أيقن أحمد عرابى بعد حادثة التل الكبير، أنه لا أمل فى المقاومة بعدما سدت كل منافذ النجاة أمامه، راح الجيش

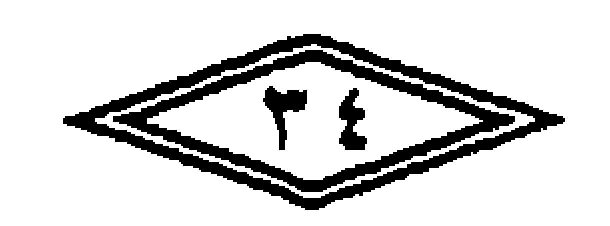


المصرى نتيجة الخيانة والغدر، واختفى التأييد الشعبى الجارف الذى كان يحظى به. نصحه بعض الأعيان بأن يبعث بعريضة إلى الخديوى يطلب منه العفو. كتب عرابى إلى الخديوى يوم ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ عريضة، يشرح له أنه حاول بكل طاقته أن يحمى استقلال البلاد ومنع الإنجليز من دخول مصر، يعرب للخديوى عن طاعته العمياء وطلب الصفح منه. رفض الخديوى التماس عرابى وأصر على عصيانه ومحاكمته.

كان الطريق إلى القاهرة ممهدا أمام جيش الإحتلال الإنجليزى، لا وجود لأى مقاومة، بعد أن انهارت الروح المعنوية لعرابى وللجيش،رغم استطاعتهم القتال فى الحصون المنيعة التى تحيط بالقاهرة، لكن روح المقاومة المصرية أختفت وكأنها لم تكن موجودة أبدا. دبّ اليأس فى قادة وشعب مصر.

دخل الإنجليز إلى القاهرة يوم ١٥ سبتمبر ١٨٨٢، وتسلموا القلعة والثكنات المخصصة للجنود، وسلّم أحمد عرابى باشا وقادة الجيش المصرى أنفسهم إلى الإنجليز، فوضعوا فى سجن القلعة كأسرى حرب.

***



5

كان الإنجليز فى الأستانة، يفاوضون السلطان فى أمر التدخل العسكرى فى مصر، يؤكدون له أن الغرض من الغزو العسكرى هو الحفاظ على أملاك السلطان وإعادة الشرعية إلى مصر وتثبيت الخديوى والقضاء على الفوضى التى أشاعها عرابى والجيش فى البلاد. يقترح الإنجليز على السلطان أن يبعث بجيشه لتسلم مصر بعد القضاء على العصيان.

عندما تم القضاء على الجيش المصرى فى معركة التل الكبير، أوقفت انجلترا تفاوضها مع العثمانيين فى أمر مصر، فقد تحقق لها التواجد الفعلى فوصل اللورد "دوفرين" سفير إنجلترا فى الأستانة، كمستشار للخديوى للنصح وإسداء المشورة فى تصريف شئون مصر.

تم إلقاء القبض على ضباط جيش عرابى ووضعوهم فى السجون. نصح " دوفرين " الخديوى بإصدار عفو عام عن جميع الضباط الذين تقل رتبتهم عن البكباشى، مع تجريدهم من رتبهم العسكرية وحرمانهم من المعاش. وقد أصدر



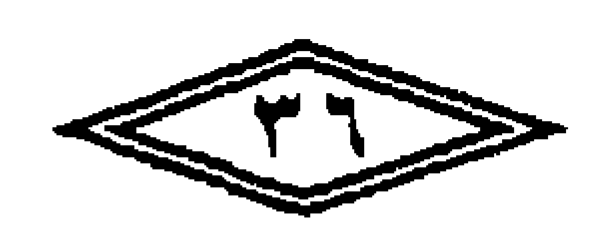
الخديوى ذلك العفو، فخرج الضباط المصريون من السجن إلى الشارع بلا مورد يعينهم على معيشتهم.

إنعقدت المحكمة العسكرية برئاسة الإنجليز لمحاكمة زعماء الثورة أحمد عرابى باشا - محمود سامى البارودى باشا - عبد العال طلبه باشا - على فهمى باشا، ولم يتمكن الإنجليز من العثور على خطيب الثورة عبد الله النديم، الذى اختفى فى الريف المصرى.

حكمت المحكمة على الزعماء الأربعة بالإعدام طبقا لإصرار الخديوى على ذلك. وتدخل " دوفرين " مرة أخرى، ناصحا الخديوى باستبدال الإعدام بالنفى إلى جزيرة " سيلان " النائية والواقعة تحت الحكم الانجليزى، لعدم إثارة الشعور الوطنى. فتم للإنجليز ما أرادوا، وأصدر الخديوى أمره بنفى الزعماء الأربعة إلى جزيرة سيلان.

وحكمت المحكمة بالإعدام على القائمقام سليمان سامى داود بتهمة إحراق مدينة الإسكندرية، وبالإعدام على الملازم يوسف أبو ديّة، الذى نظم المقاومة المصرية فى طنطا. ونفذ فيهما الحكم فورا، لا يترك الإنجليز لهما أى فرصة لنشر حقائق ما ارتكبه الإنجليز فى حق بلدهم.

تأكد الخديوى من اندحار أحمد عرابى وجيشه المصرى أمام الإنجليز، فكلف شريف باشا فى أغسطس ١٨٨٢، بتشكيل حكومة مصرية جديدة وفى خطابه إلى الخديوى،



صمم شريف باشا على برنامجه المقدم فى ديسمبر ١٨٨١ والذى يشمل احترام الحياة النيابية الدستورية.

عاد الخديوى توفيق إلى القاهرة يوم ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢، بعد سيطرة الإنجليز على القاهرة. قامت إنجلترا وقد استتب لها الأمر تماما فى مصر، بإعلان إلغاء المراقبة الثنائية على مصر وانفرادها وحدها بالإشراف على أمور المحروسة. وتم تشكيل جيش جديد لمصر، التابع للخديوى توفيق تحت قيادة ضباط إنجليز، وعين الجنرال " بيكر " قائدا للشرطة المصرية.

أصدر الخديوى محمد توفيق بعد وصوله إلى القاهرة، أمره بإقامة احتفال كبير فى العاصمة يوم ٣٠ سبتمبر ١٨٨٢، لاستعراض وتكريم الجيش الإنجليزى.

استعرض الخديوى المصرى، الجيش الإنجليزى المحتل أمام قصر عابدين، وقام وفد من الأعيان المصريين برئاسة محمد باشا سلطان بتقديم الهدايا لقادة الجيش الانجليزى بإسم الشعب المصرى. قدم سلطان باشا سيفا ذهبيا مرصعا بالماس والجواهر إلى الأميرال " سيمور " قائد الأسطول الإنجليزى الذى أحرق الإسكندرية، وآخر للجنرال "ويلسلى " قائد الجيوش الإنجليزية التى قضت على الجيش المصرى فى التل الكبير. وقدمت الهدايا الأخرى الأقل قيمة إلى الضباط الإنجليز، وأنعم الخديوى بالنياشين على اثنين وخمسين ضابطا إنجليزيا بعد ذلك اليوم الأسود.



عندما رقد محمد سلطان باشا على فراش الموت، يستعد لملاقاة ربّه قال لمن حوله:

- إنى معتقد أن الذى عجّل بمماتى، هو تبكيت ضميرى لى على خيانتى لوطنى وبيعه للإنجليز.

تم وضع زعماء الثورة فى إحدى السفن الإنجليزية بميناء السويس، وتسفيرهم من القاهرة فى سرية تامة وتحت حراسة مشددة، لم يسمح الإنجليز لأى مصرى بمعرفة تاريخ سفرهم. غادرت السفينة الإنجليزية ميناء السويس يوم ٢٧ ديسمبر ١٨٨٢، واتجهت بهم إلى "كولومبو" عاصمة الجزيرة التى عاش فيها الزعماء الأربعة، متفرقين فى أرجائها، يعيشون فى فقر مدقع بعد مصادرة أملاكهم فى مصر وحرمانهم من مرتباتهم ومعاشاتهم.

كان أحمد عرابى باشا، يُحاط بالمودة والاحترام من أهل الجزيرة من المسلمين، فتولى تعليمهم الدين الإسلامى وحفظ القرآن، وأنشأ مدرسة لتعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين السيلانيين.

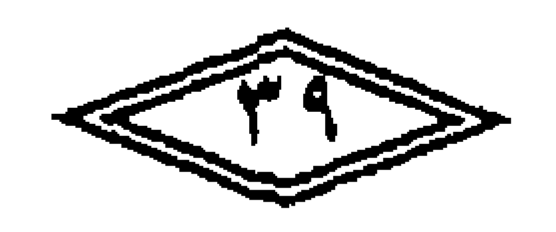
كان انفراد إنجلترا بحكم مصر، واستبعاد فرنسا نهائيا من مشاركتها فى تصريف أمورها ضربة قاصمة لها، وهى التى كانت لا تزال تحلم باستعادة نفوذها فى مصر، الذى لم يستطيع بونابرت أن يحققه. قررت فرنسا مناوأة الإنجليز فى مصر.



ولد فى فرنسا أحد اليهود وتعلم بها، ثم هاجر إلى حيفا وأقام بها وهو يحمل الجنسية الفرنسية. اشهر إسلامه وتسمى بإسم "محمد سعيد" وجاء مصر وعمل على تكوين جمعية سرية أسمت نفسها (جمعية الانتقام) ضم إليها بعض الوطنيين المصريين بشروط غاية فى السرية المبنية على تجهيل قائد الجمعية واستخدام الرموز فى التعامل، تتشابه فى تعاملها مع النظم الماسونية الصهيونية المعروفة.

اقتصر عمل الجمعية على إرسال خطابات تهديد للمسئولين المتعاونين مع الإحتلال الإنجليزى باللغة الفرنسية التى لا يجيد "محمد سعيد" غيرها. وقد وشى أحد أعضاء الجمعية بمعلوماته عنها فتم إلقاء القبض على زعيمها وبعض أعضائها ولم تستطع الشرطة إيجاد الدليل المادى على تورطهم لشدة حرص رئيس الجمعية اليهودى، فتم ترحيل محمد سعيد عن مصر، وانتهى نشاط جمعية الانتقام فى ٢٠ يونية ١٨٨٣.

وكانت جمعية (مصر الفتاة) التى أنشأها اليهودى "صنوع" على غرار جمعية (تركيا الفتاة) التى قامت فى الدولة العثمانية لمناوأة السلطان. اشترك فى جمعية مصر الفتاة جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده بعد تأسيسها، قد انتهى عملها ولم يصبح لها اثر بعد الاحتلال الإنجليزى. ذكر الشيخ محمد عبده فى مذكراته عنها: أن أغلب أعضاء هذه الجمعية من شبان اليهود فى مصر.



ومنذ أن انضم الخديوى توفيق عام ١٨٨١ إلى المحفل الأكبر الوطنى الماسونى المصرى، زهت الماسونية فى البلاد وكثرت أعمالها وزاد عدد المنضمين إليها، من مختلف طبقات المجتمع، فزاد عدد المحافل الماسونية فى مصر زيادة غير عادية وانتخب الخديوى رئيسا لتلك المحافل المصرية الداعية إلى الصهيونية، والمتفقة فى أهدافها المرحلية مع النوايا الإنجليزية المبيتة لاحتلال مصر.

ظلت فرنسا تناوئ الإنجليز وتعترض على سياساتها فى احتلال مصر على مدى أكثر من عشرين سنة، إلى أن تم اتفاق الدولتين عام ١٩٠٤ على قبول فرنسا أن تطلق يد إنجلترا فى مصر، مقابل موافقة إنجلترا على إطلاق يد فرنسا فى مراكش.

استقر الأمر للإنجليز فى مصر، وسيطروا تماما على مقدرات هذه الأمة العظيمة. كانت كبرى المشاكل التى تواجه الاستقرار، الديون والعجز المالى المستمر. فعقدت انجلترا بإسم الحكومة المصرية، قرضا عام ١٨٨٥ أسمته (الدين المضمون) قدره تسعة ملايين جنية مصر بضمان الإنجليز.

كان اللورد "كرومر" قد وصل إلى القاهرة عام ١٨٨٣، وتم تعيينه فى منصب المعتمد البريطانى فى مصر، أى أنه

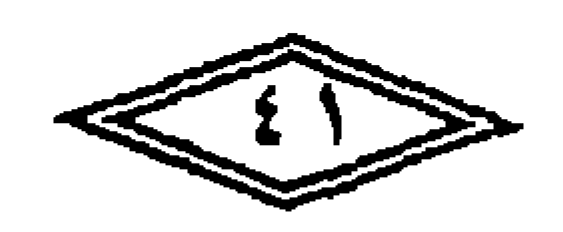


أصبح المتحكم الفعلى فى كل شئون مصر الغالية التى قعد على عرشها الخديوى محمد توفيق.

ذهب معظم قرض الدين المضمون، إلى دفع التعويضات المالية لأصحاب الأملاك الأجانب بالإسكندرية التى حرقت بيوتهم ومحالهم أثناء الغزو الإنجليزى، واستخدام الباقى منه فى سد العجز فى ميزانيات الحكومة عن الأعوام السابقة.

شهدت تلك الفترة نشاطا هائلا فى عملية حفر الترع وتطهيرها وتحسين وسائل الرى بهدف وحيد، هو زيادة الأراضى المنزرعة قطنا، لتزويد المصانع الإنجليزية بالخامة الممتازة من القطن المصرى. كما انفتح السوق المصرى على مصراعيه للبضائع الإنجليزية، فأغلقت المصانع المصرية وتدهور انتاج المنسوجات وغيرها من الصناعات، وازدادت البطالة فى مصر، وكأن حال الخديوى والإنجليز ينادى بأن المصريين فلاحون، فليبقوا فى الأرض لزراعة القطن لتصديره إلى السادة الإنجليز.

تدهورت صحة محمود سامى البارودى فى المنفى، فأصدر الخديوى أمرا، بعد تدخل الإنجليز، بعودته إلى مصر حتى مات بها. وتوفى زميلا عرابى، على فهمى وعبد العال حلمى بعدما اعتلت صحتهما لعدم ملاءمة جو "سيلان" لهما. لم يبق من القادة سوى أحمد عرابى باشا، يعيش بالجزيرة وقد ساءت صحته واشتد فقره وحاجته، لا

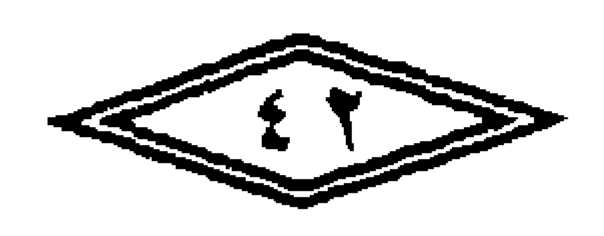


يدرى شيئا عن حياة أبنائه وأحفاده فى الوطن، وهم الذين عانوا من الفقر والجوع بعد مصادرة أملاك أبيهم.

نصح الإنجليز في "كولومبو" عرابى، بأن يكتب التماسا إلى الملكة فى انجلترا ليعفو الخديوى عنه ليعود إلى مصر. وتجاهلت الملكة الالتماس، الذى صاغه عرابى بأسلوب مهين. كرر عرابى الالتماس إلى ملك انجلترا الجديد بأسلوب أكثر مهانة، يشرح فيه مرضه وعوزه وحاجته لرؤية أولاده.

وافق الخديوى عباس حلمى فى شهر سبتمبر ١٩٠١ الذى تولى الحكم بعد موت توفيق، على عودة أحمد عرابى إلى مصر بعد أن تدخل حاكم سيلان لدى حكومته، يؤكد اشتداد المرض على المصرى المنفى فى الجزيرة لمدة تسعة عشر عاما متصلة.

كان مشهد سفر أحمد عرابى من "سيلان" مظاهرة حب وتقدير لهذا الزعيم المصرى العظيم. احتشد الأهالى يرمون بالزهور والورود على الرجل المسافر على ظهر سفينة إنجليزية إلى السويس، التى وصلها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٠١، وأبقته السلطات الإنجليزية تحت التحفظ، وقد تكتمت وصوله حتى لا يستقبله المصريون. وتم ترحيل عرابى سرا إلى القاهرة يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٠١ وعاش فى ضنك بلا مورد ولا مأوى.



طلب أحمد عرابى فى رسالة بعث بها إلى الإنجليز، ان يزور إنجلترا وكان ذلك الطلب مدعاة لأن يثور مصطفى كامل باشا زعيم الحزب الوطنى المصرى الذى أنشأه لمعارضة الاحتلال الإنجليزى. ولم تقبل إنجلترا طلب عرابى لزيارتها.

مات أحمد عرابى يوم ١١ سبتمبر ١٩١١ فقيرا معدما، يحار المصريون فى ثورته التى أطلق عليها البعض (هوجة عرابى)، وكأن قيادته جيش مصر لمحاربة المحتل الإنجليزى كانت وكأنها رئاسة عصابة، وهو لفظ لا يجوز لأى مصرى أن يصف به ثورة شعب مصر ضد الاحتلال.

***

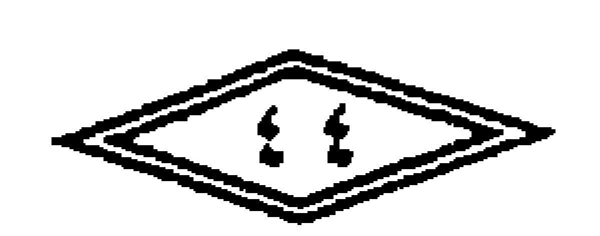


6

استخدمت حكومة الخديوى محمد توفيق الموظفين العثمانيين والشراكسة فى السودان، وكان الإنجليز وراء هذا التعيين والاختيار، فهم ليسوا بمصريين يمكنهم التعامل بيسر مع أهل الإقليم والتزاوج منهم والعيش معهم. كان اختيار العثمانيين والشراكسة للعمل بالسودان فى جباية الضرائب له عدة فوائد بالنسبة للإنجليز الذين يخططون لابتلاع ذلك الإقليم من مصر.

ظالمون أولئك الأتراك، قساة، غلاظ القلب، يكتسبون عداء من يتعامل معهم، وهو مطلب انجليزى هام فى مخططهم. فالأتراك يتولون سلطاتهم نيابة عن حكومة مصر، ويهم الإنجليز خلق العداء لمصر وللمصريين.

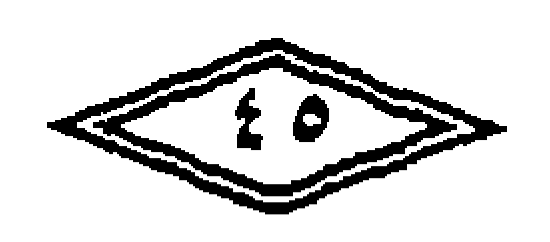
وهم محبون للرشوة والفساد، وهم بذلك أكثر طاعة وانقيادا للإنجليز إذا ما ترك لهم حبل الرشوة والفساد على الغارب. وقد ترك لهم الإنجليز ذلك.



وقسى حكام الأقليم السودانى على تجار الرقيق بإسم حكومة مصر، فثار كبار تجار النخاسة السودانيين الذين حرموا أرباحهم وثرواتهم الهائلة من تلك التجارة.

اشتركت كل تلك الأسباب، فى خلق نوع من الكراهية فى قلوب أهل إقليم السودان للحكم المصرى، التى كان الإنجليز يشرفون على تنفيذ سياستهم بإسمها فى الأقليم. فظهر رجل سودانى يدعى محمد أحمد، لقبّ نفسه بإسم "المهدى"، وأنه خُلق ليحرر السودانيين من الظلم. التفّ حوله الكثير من أبناء الإقليم، لحسن حديثه ومعرفته ببعض أركان الدين الإسلامى، وذاع صيته فى جنبات الإقليم، فاستوطن جزيرة "آبا"، وأصبحت مقرّا له ولحركته التى سميت " المهدية ".

استدعى رءوف باشا حاكم السودان، المهدى إلى الخرطوم، فرفض الذهاب إليه، فقام الحاكم بجيشه ليؤدب المهدى، فقام عليه المهدية وقتلوا الحاكم وجيشه. وكان انتصار "المهدية" حافزا لهم على استمرار حركتهم فى القضاء على غير السودانيين، فزحفوا إلى "الأبيض" واستولوا عليها عام ١٨٨٣، فجردت مصر حملة بقيادة الإنجليزى "هكس باشا" لاستعادة المدينة، فهجم عليهم الدراويش المهدية وأفنوهم عن بكرة أبيهم فى سبتمبر ١٨٨٣، مما أوجد حالة من عدم الارتياح لدى الحكومة المصرية.



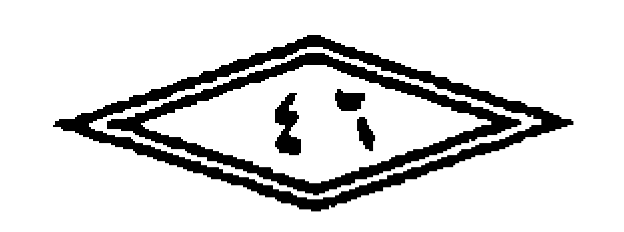
نصحت انجلترا الخديوى توفيق بعد تلك المذبحة التى راح فيها الآلاف من جند مصر، بإخلاء السودان حتى جنوب وادى حلفا. استدعى الخديوى توفيق، رئيس وزراء مصر شريف باشا وطلب إليه تنفيذ إخلاء السودان. رد شريف باشا على الخديوى قائلا:

- إذا تركنا السودان، فالسودان لا يتركنا.

وعارض بشدة خضوع الوزارة المصرية إلى نصائح المعتمد البريطانى، لكن الخديوى توفيق، صمم على تنفيذ النصح الإنجليزى بالإخلاء، فتقدم شريف باشا باستقالته فى يناير ١٨٨٤ وذكر فى استقالته:

- إن الدولة الإنجليزية تطلب إخلاء السودان، وهذا ما لا سبيل إليه، وما طلبته من اتباع نصائحها بدون مناقشة فيها. لا يخفى أن هذه الاقتراحات مخالفة لفحوى النظام الشورى لعام ١٨٧٨ التى نص فيها على أن الخديوى يجرى أحكام البلاد باشتراكه مع النظار. فنطلب من مقامكم قبول استعفاءنا لأنه لا يمكن والحالة هذه أن ندير البلاد على أصول شورية.

إنسحب شريف باشا من الحياة العامة فى مصر، وسافر إلى النمسا يعيش فيها حتى وافته المنيّة فى إبريل ١٨٨٧ فأعيد جثمانه إلى مصر، حيث استقبله أهل الإسكندرية يشيعون جنازته فى احتفال مهيب، ونقل إلى القاهرة



حيث خرجت العاصمة عن بكرة أبيها تودع جثمان ذلك الرجل الشريف إسما وعملا.

تولى نوبار باشا رئاسة الحكومة الجديدة، فوافق على إخلاء السودان وعين غوردون باشا حاكما عاما لتنفيذ الإخلاء. طلب الإنجليز إرسال جيش مصرى لحماية موانئ البحر الأحمر، وتم لهم إرسال ٣٢٠٠ جندى مصرى إلى الموانئ، فهجم عليهم المهدية وقتلوا منهم ٢٤٠٠ رجل. قامت إنجلترا بإرسال قوة بحرية إنجليزية بعد تلك المذبحة، فاحتلت الموانئ السودانية على البحر الأحمر.

تباطأ غوردون فى إخلاء السودان من الإنجليز،فهجم المهديون على الخرطوم فى يناير ١٨٨٥ واستولوا عليها وقتلوا غوردون قبل وصول المدد الإنجليزى. مات " المهدى" فى يونية عام ١٨٨٥ وتولى عبد الله التعايشى زعامة المهدية.

أراد الإنجليز، وهم يستعدون لابتلاع السودان وما حولها، إرضاء الأوروبيين، فقامت إنجلترا بتوزيع الأملاك المصرية على بعض تلك الدول التى ترتبط معها بمصالح معينة. أعطت مصوع وما يجاورها لإيطاليا. أعادت إقليم "بوغوس" للحبشة لإرضاء النجاشى. ومنــحت الكونغو إلى بلجيكا، وأعلنت إنجلترا تملكها لمقاطعة " بربرة " و" زيلع " و" أوغندا ". وبارك الخديوى توفيق ورئيس وزرائه نوبار، هذا التوزيع للأقاليم المصرية.



اشتد ساعد المهدية تحت قيادة "التعايشى"، فخضعت معظم بلاد الأقليم السودانى لسيطرته والإنضواء تحت لوائه. توالى سقوط المدن واحدة بعد الأخرى وانضمام أهلوها إلى التعايشى ومناوشة السلطة الحكومية.أعد المهدية جيشا نحو ثلاثة عشر ألف مقاتل، لغزو مصر عام ١٨٨٩، فخرج إليهم جيش مصرى يقوده الإنجليزى " فرانسيس جرينفل " فقضى على المهدية الذين لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف رجل فقط.

ثم أعدت انجلترا جيشا عام ١٨٩٦، تعاون مع الإيطاليين فى الحرب ضد الحبشة التى اتحدت مع المهدية لتحرير الصومال. ظلت الحرب دائرة، يقود " كتشنر " الجيش الإنجليزى فى تعقب التعايشى ورجاله حتى استطاع القضاء على جيش المهدية فى معركة " أم درمان " الفاصلة، واستولى " كتشنر " على الخرطوم يوم ٤ سبتمبر ١٩٩٨، فرفع عليها العلمان الإنجليزى والمصرى.

ظل " كتشنر " يطارد " التعايشى " فى أرجاء السودان حتى استطاع فى نوفمبر ١٨٩٩ أن يقضى على زعيم المهدية، فانتهت بذلك الثورة التى استطاعت أن تقيم دولة الدراويش المهدية فى السودان.

عندما استتب الأمر للإنجليز بعد استيلائهم على الخرطوم، ورفع العلم الإنجليزى مع العلم المصرى، دلالة على اشتراك إنجلترا مع مصر فى حكم الإقليم، أعدت



الحكومة الإنجليزية مشروعا لإتفاقية لتوقيعها مع مصر تقضى بإشتراك الدولتين فى إدارة إقليم السودان. وافق الخديوى على الإتفاقية، فتم توقيعها فى ١٩ يناير ١٨٩٩ وهى ما عرفت بإسم (إتفاقية السودان) بالحكم المشترك الأنجلو مصرى للسودان.

وهكذا استطاعت إنجلترا بدهاء سياستها، أن تصف السودان دوليا فى اتفاقية، بأنه إقليم منفصل عن مصر تماما. وتمكنت على مر السنين أن تخضع الإقليم وتضعه تحت سيطرتها التامة، تستبعد كل ما هو مصرى عن الارتباط بالسودان بأى شكل من الأشكال، وفى نفس الوقت، استطاعت أن تثبت نفوذها هى بتعيين الإنجليز فى كل المناصب الإدارية الرئيسية المسيطرة على مقدرات الإقليم حتى تمكنت فى النهاية من فصل السودان عن مصر.

***

7

سكت المدرس عن الكلام، ونظر إلى تلاميذه، ولاحظ أن معظمهم يعض على شفتيه كمدا، لما آل إليه الحال. قال له أحد طلبته:

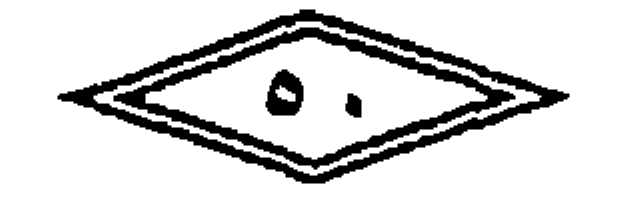
- حدثتنا يا أستاذ عن مصرنا، منذ حاول بونابرت احتلالها إلى أن احتلها الإنجليز، وما تخلل تلك الفترة من التاريخ، من تحقيق أمجاد عظيمة لمصر خلال عصر محمد على باشا وابنه إبراهيم باشا، ونهضة مصر الحديثة خلال عصر إسماعيل باشا. كيف تمكنت إنجلترا من احتلالنا؟

قال الأستاذ:

- عندما تشعر دولة ما بقوتها وتفوق عسكريتها على الدول الأخرى، فإنها تسعى إلى زيادة نفوذها بكل الوسائل السياسية والعسكرية، وانتهاز الوقت المناسب، بخلق الظروف المواتية، الإنقضاض على الدول الأخرى ذات الأهمية فى تحقيق سياستها المرسومة.

استطرد المدرس يقول:

- كانت عيون إنجلترا على مصر، فهى الطريق إلى الهند



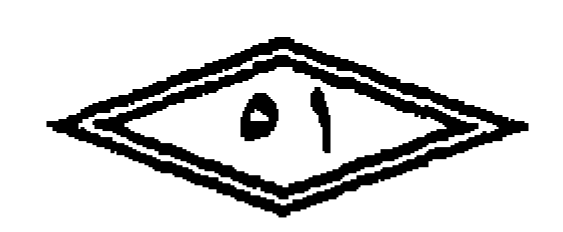
مستعمرتها العظمى، وهى الطريق إلى شرق أفريقيا الذى استعمرته عسكريا، وهى أى مصـــر هى مـــزرعة القطن الممتاز لمصانع نسيجها فى انجلترا، وهى أيضا الفاصل بين أملاك فرنسا فى المغرب العربى والشام. خططت حتى تمكنت بعد تكبيل مصر بالديون، أن تحتل أرض مصر الغالية.

تساءل طالب قائلا:

- ولماذا لم تتمكن من احتلال مصر أثناء عهد إسماعيل يا أستاذ؟

قال المدرس مبتسما:

- قلت لكم كيف اهتم إسماعيل باشا بالجيش والبحرية والصناعة والزراعة. وسبق أن قلت لكم كيف تراجعت إنجلترا عن إنزال جنودها أثناء حكم محمد على باشا. إنها تعرف كيف يستطيع المصريون أن يدافعوا عن أرضهم، فلم يجرؤوا على المجازفة. جاء الإنجليز بتوفيق باشا الخديوى لمصر، فأصبح رهين صنيعهم، وأثروا عليه بعد انضمامه للمحفل الماسونى، الذى يتولى اليهود الإنجليز - وملك الإنجليز كان الرئيس الكونى لكل الماسونية فى العالم - السيطرة وتوجيه الحركة الماسونية لخدمة الأهداف الصهيونية. ولعلك تدرك الدور الإنجليزى فى وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطانى ثم تسليمها لليهود ليقيموا عليها دولتهم وسط العرب.



تساءل طالب فى عصبية يقول:

- ألم تكن فلسطين والدول العربية كلها فى المنطقة داخل نطاق الدولة العثمانية؟

قال المدرس:

- نعم يا بُنىّ. إستطاع اليهود فى الدولة العثمانية المعروفين بإسم " الدونمة " وعن طريق المحافل الماسونية أن ينخروا فى عظام تلك الإمبراطورية حتى تحللت وتم تقطيعها بين الدول الأوروبية بهدف أسمى وحيد هو تولى إنجلترا السيطرة على فلسطين وما يجاورها من أقاليم يطمع اليهود فى إقامة دولتهم على أرضها. فشعار اليهود أن دولتهم " من النيل إلى الفرات". احتلت إنجلترا مصر (النيل) والعراق (الفرات) إلى جانب فلسطين.

صاح الطلبة ينادون أستاذهم بأن يقص عليهم هذا الجزء من التاريخ الذى عاشت مصرهم داخل ذلك الصراع سنوات طويلة منذ غزوها عام ١٥١٧ بواسطة السلطان سليم العثمانى وضمها إلى أملاكه. قال لهم أستاذهم:

- هذا التاريخ طويل وهام فعلا. لعلى أعيش وألقاكم فى العام التالى إن شاء الله، فقد أكون قد استعدت قواى بعد أن هدّنى تذكر تاريخنا فى تلك الفترة. ولا تنسوا أبدا يا أبنائى أن مصر لم تستسلم على مدى الأربع والسبعين سنة التى بقى فيها الإنجليز على أرضنا. فبعد عرابى، جاء مصطفى



كامل ووراءه محمد فريد، ثم قاد سعد زغلول ثورة ١٩١٩ وتبعه النحاس باشا بقيادته لحزب الوفد، حتى قامت ثورة ١٩٥٢، وكان الفدائيون المصريون قد أذاقوا المحتل الإنجليزى الأمرّين فى منطقة قناة السويس، حتى رأى الإنجليز أن مصلحتهم هى الرحيل عن مصـــر، فوقعت اتفاقية الجلاء عن مصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، ورحلوا عن أرضنا فى ١٦ يونية ١٩٥٦.

تنهد المدرس وقال:

- هيا الآن إلى المدرسة. بارك الله فيكم يا شباب مصر، أنتم دائما الأمل لهذه الأمة العظيمة التى ما عرف محتل لأرضها أن يبقى عليها أبدا. أنتم العدّة. أنتم المستقبل المشرق لمصر، ولكن إياكم وأن تنسوا تاريخ أجدادنا الفلاحين العظماء.

والحمد لله رب العالمين

* * *



المـــراجـــع

(١) **عصر إسماعيل - ج٢:** عبد الرحمن الرافعى الناشر: دار المعارف

(٢) **الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى:** عبد الرحمن الرافعى الناشر: مكتبة النهضة المصرية

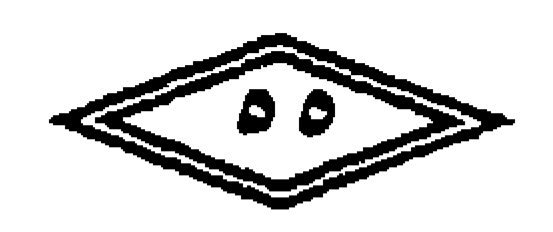
(٣) **عرابى الزعيم الثائر:** عبد الرحمن الرافعى الناشر: دار الهلال.

(٤) **الثورة العرابية:** لورد كرومر ترجمة عبد العزيز عرابى. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٥) **تاريخ الخديوى محمد باشا توفيق:** عزيز زند الناشر مكتبة مدبولى.

(٦) **تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر الجزء السادس:** عمر الإسكندرى وسليم حسن الناشر: مكتبة مدبولى.

(٧) **أحمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية المصرية** د. سمير محمد طه. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.



(٨) **أسرار هوجة عرابى:** د. عبد العظيم رمضان الناشر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

(٩) **الجمعية الوطنية المصرية:** د. زين العابدين شمس الدين نجم. الناشر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

(١٠) SPOILING THE EGYPTIANS الناشر: ANDRE DEUTSCH لندن - انجلترا JOHN MARLOWE ولهذا الكتاب ترجمة بالعربية للدكتور عبد العظيم رمضان تحت اسم (**تاريخ النهب الاستعمارى لمصر**) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.



ISBN 978-977-287-972-6

دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع
٥٠ شارع الشيخ ريحان - عابدين- القاهرة
☎ ٢٧٩٥٤٢٢٩
www.sbhegypt.org
e-mail : sbh@link.net
: Info@sbhegypt.org